العمـــــل الموجّـــــــه الثّالث

الشاعر : أحمد شوقي

أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك **(1868- 1932)**، شاعر مصري يعد من أعظم شعراء العربية في جميع العصور حسبما ذكر ذلك في القاموس الشهير (قاموس المورد) لقب بـ "أمير الشعراء."

ولد احمد شوقي بحي الحنفي بالقاهرة في 20 رجب 1287 هـ الموافق 16 أكتوبر 1868 لأب كردي وأم من أصول تركية وشركسية، وكانت جدته لأمه تعمل وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل، وعلى جانب من الغنى والثراء، فتكفلت بتربية حفيدها ونشأ معها في القصر، ولما بلغ الرابعة من عمره التحق بكُتّاب الشيخ صالح، فحفظ قدرًا من القرآن وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة المبتديان الابتدائية، وأظهر فيها نبوغًا واضحًا كوفئ عليه بإعفائه من مصروفات المدرسة، وانكب على دواوين فحول الشعراء حفظًا واستظهارًا، فبدأ الشعر يجري على لسانه.

وهو في الخامسة عشرة من عمره التحق بمدرسة الحقوق سنة (1303هـ = 1885م)، وانتسب إلى قسم الترجمة الذي قد أنشئ بها حديثًا، وفي هذه الفترة بدأت موهبته الشعرية تلفت نظر أستاذه الشيخ "محمد البسيوني"، ورأى فيه مشروع شاعر كبير" ثم بعد ذلك سافر إلى فرنسا على نفقة الخديوي توفيق، "وقد حسمت تلك الرحلة الدراسية الأولى منطلقات شوقي الفكرية والإبداعية.

وخلالها اشترك مع زملاء البعثة في تكوين (جمعية التقدم المصري)، التي كانت أحد أشكال العمل الوطني ضد الاحتلال الإنكليزي.

وربطته حينئذ صداقة حميمة بالزعيم مصطفى كامل، وتفتّح على مشروعات النهضة المصرية.

طوال إقامته بأوروبا، كان فيها بجسده بينما ظل قلبه معلقًا بالثقافة العربية وبالشعراء العرب الكبار وعلى رأسهم المتنبي.

لكن تأثره بالثقافة الفرنسية لم يكن محدودًا، وتأثر بالشعراء الفرنسيين وبالأخص راسين وموليير.

"نلاحظ أن فترة الدراسة في فرنسا وبعد عودته إلى مصر كان شعر شوقي يتوجه نحو المديح للخديوي عباس، الذي كانت سلطته مهددة من قبل الإنجليز، ويرجع النقاد التزام أحمد شوقي بالمديح للأسرة الحاكمة إلى عدة أسباب منها أن الخديوي هو ولي نعمة أحمد شوقي وثانيا الأثر الديني الذي كان يوجه الشعراء على أن الخلافة العثمانية هي خلافة إسلامية وبالتالي وجب الدفاع عن هذه الخلافة.

لكن هذا أدى إلى نفي الشاعر من قبل الإنجليز إلى إسبانيا 1915 وفي هذا النفي اطلع أحمد

شوقي على الأدب العربي والحضارة الأندلسية هذا بالإضافة إلى قدرته التي تكونت في استخدام عدة لغات والاطلاع على الآداب الأوروبية، وكان أحمد شوقي في هذه الفترة مطلعا على الأوضاع التي تجري في مصر فأصبح يشارك في الشعر من خلال اهتمامه بالتحركات الشعبية والوطنية الساعية للتحرير عن بعد وما يبث شعره من مشاعر الحزن على نفيه من مصر، ومن هنا نجد توجها آخر في شعر أحمد شوقي بعيدا عن المدح الذي التزم به قبل النفي، عاد شوقي إلى مصر سنة 1920.

في عام 1927 بايع شعراء العرب كافة شوقي أميرا للشعر، وبعد تلك الفترة نجد تفرغ شوقي للمسرح الشعري حيث يعد الرائد الأول في هذا المجال عربيا ومن مسرحياته الشعرية "مصرع كيلوبترا" وقمبيز ومجنون ليلى وعلي بك الكبير.

قصيدة يا نائح الطّلح لـــ: أحمد شوقي:

يا نائِحَ الطَلحِ أَشباهٌ عَوادينا ... نَشجى لِواديكَ أَم نَأسى لِوادينا

ماذا تَقُصُّ عَلَينا غَيرَ أَنَّ يَداً ... قَصَّت جَناحَكَ جالَت في حَواشينا

رَمى بِنا البَينُ أَيكاً غَيرَ سامِرِنا ... أَخا الغَريبِ وَظِلّاً غَيرَ نادينا

كُلٌّ رَمَتهُ النَوى ريشَ الفِراقُ لَنا ... سَهماً وَسُلَّ عَلَيكَ البَينُ سِكّينا

إِذا دَعا الشَوقُ لَم نَبرَح بِمُنصَدِعٍ ... مِنَ الجَناحَينِ عَيٍّ لا يُلَبّينا

فَإِن يَكُ الجِنسُ يا اِبنَ الطَلحِ فَرَّقَنا ... إِنَّ المَصائِبَ يَجمَعنَ المُصابينا

(...)

آها لَنا نازِحي أَيكٍ بِأَندَلُسٍ ... وَإِن حَلَلنا رَفيقاً مِن رَوابينا

رَسمٌ وَقَفنا عَلى رَسمِ الوَفاءِ لَهُ ... نَجيشُ بِالدَمعِ وَالإِجلالِ يَثنينا

لِفِتيَةٍ لا تَنالُ الأَرضُ أَدمُعَهُم ... وَلا مَفارِقَهُم إِلّا مُصَلّينا

لَو لَم يَسودوا بِدينٍ فيهِ مَنبَهَةٌ ... لِلناسِ كانَت لَهُم أَخلاقُهُم دينا

لَم نَسرِ مِن حَرَمٍ إِلّا إِلى حَرَمٍ ... كَالخَمرِ مِن بابِلٍ سارَت لِدارينا

(...)

نَسقي ثَراهُم ثَناءً كُلَّما نُثِرَت ... دُموعُنا نُظِمَت مِنها مَراثينا

كادَت عُيونُ قَوافينا تُحَرِّكُهُ ... وَكِدنَ يوقِظنَ في التُربِ السَلاطينا

لَكِنَّ مِصرَ وَإِن أَغضَت عَلى مِقَةٍ عَينٌ مِنَ الخُلدِ بِالكافورِ تَسقينا

عَلى جَوانِبِها رَفَّت تَمائِمُنا وَحَولَ حافاتِها قامَت رَواقينا

مَلاعِبٌ مَرِحَت فيها مَآرِبُنا وَأَربُعٌ أَنِسَت فيها أَمانينا

وَمَطلَعٌ لِسُعودٍ مِن أَواخِرِنا وَمَغرِبٌ لِجُدودٍ مِن أَوالينا

بِنّا فَلَم نَخلُ مِن رَوحٍ يُراوِحُنا مِن بَرِّ مِصرَ وَرَيحانٍ يُغادينا

كَأُمِّ موسى عَلى اِسمِ اللهِ تَكفُلُنا وَبِاسمِهِ ذَهَبَت في اليَمِّ تُلقينا

(...)

يا مَن نَغارُ عَلَيهِم مِن ضَمائِرِنا وَمِن مَصونِ هَواهُم في تَناجينا

غابَ الحَنينُ إِلَيكُم في خَواطِرِنا عَنِ الدَلالِ عَلَيكُم في أَمانينا

جِئنا إِلى الصَبرِ نَدعوهُ كَعادَتِنا في النائِباتِ فَلَم يَأخُذ بِأَيدينا

(...)

لَو غابَ كُلُّ عَزيزٍ عَنهُ غَيبَتَنا لَم يَأتِهِ الشَوقُ إِلّا مِن نَواحينا

إِذا حَمَلنا لِمِصرٍ أَو لَهُ شَجَناً لَم نَدرِ أَيُّ هَوى الأُمَّينِ شاجينا

ملامح البعث والإحياء في القصيدة:

- **إحياء تقاليد الشعر العربي القديم**: تبدأ القصيدة بنداء "يا نائح الطلح"، وهو أسلوب تقليدي يربط النص بالتراث، ويستدعي في المتلقي أجواء الحزن والحنين المعتادة في الشعر العربي القديم.
- **المزج بين الشكل التقليدي والموضوع الحديث**: رغم أن القصيدة تحافظ على العمود الشعري والبحر والقافية، فإن موضوعها يرتبط بالقضايا المعاصرة كالغربة والمنفى، ما يعكس إحياء المحتوى الشعري بطريقة تجعله ذا صلة بالهموم الوطنية والاجتماعية.
- **العودة إلى القيم الثقافية العربية**: يعبر شوقي عن الفخر بالماضي الإسلامي والأندلسي، ويبرز فضائل الأجداد وإرثهم الحضاري، وهو نوع من بعث القيم والتاريخ ضمن النص الشعري.
- **التعبير عن الألم والحزن عبر البلاغة والفصاحة**: القصيدة مليئة بالصور البلاغية كالتشبيهات والاستعارات التي تعبر عن مأساته الشخصية ومآسي الأمة، مثل "قصت

جناحك"، و"مصائب تجمع المصابينا"، وهذا يعيد إحياء لغة الشعر العربية الفصيحة بمضمون سياسي وإنساني.

- **التواصل بين الشاعر والجمهور عبر النداء والمخاطبة**: استخدام النداء بقوة في بداية الأبيات يعزز الشعور بالمشاركة والاحتشاد في مواجهة المحن، مما يدل على حيوية الشعر وقدرته على بعث الحراك الاجتماعي والثقافي.

هل معارضة "أحمد شوقي" لقصيدة ابن زيدون يعد ملمحا من ملامح البعث والاحياء الشعري؟

نعم، معارضة أحمد شوقي لقصيدة ابن زيدون في "يا نائح الطلح" تُعد أحد ملامح البعث والإحياء الشعري عنده، لأنها تمثل إعادة قراءة نقدية وتجديدًا للتراث الشعري القديم بوعي حديث.

لماذا تعد المعارضة مظهرًا للبعث والإحياء؟

- **إحياء التراث بطرح جديد:** لم يكتفِ شوقي بإعادة إحياء شكل القصيدة التقليدية، بل أضاف إليها روحًا جديدة من خلال معارضته لابن زيدون، مما يبرهن على حيوية التراث وقدرته على التأقلم مع ظروف العصر الحديث.
- **تفعيل الحوار الشعري بين الأجيال:** من خلال معارضته أو محاورته للقصيدة الأصلية، يحيي شوقي ذاكرة شعرية تاريخية ويعيد طرحها في ضوء المنفى والغربة المعاصرة، وهو بذلك يعيد إحياء الشعر كلاسيكيًا وحديثًا في آن واحد.
- **تجديد مضمون الحنين والغربة:** بينما كانت نونية ابن زيدون تركز على الحنين العاطفي الفردي، يتحول الحنين عند شوقي إلى تجربة أوسع تجمع الأمة والتاريخ، وهو ما يعد إحياءً لموضوعات الشعر العربي وإنعاشًا لقيمه في مواجهة تحديات جديدة.
- **تأكيد الاستمرارية والتجدد:** هذه المعارضة تظهر كيف يمكن للقصيدة الكلاسيكية أن تولد من جديد بإضافة بعد سياسي واجتماعي، وهو مطلب أساسي في عمليات الإحياء الشعري بالتالي، معارضة "يا نائح الطلح" لقصيدة ابن زيدون ليست مجرد رد أو نقد، بل هي فعل إحياء شعري ينم عن وعي حضاري متجدد يعيد الحياة للتراث ويخاطب الحاضر بلسان الماضي بروح العصر